

الإثني - 01-09-2008

367- يوم إبداعى الخاص: يعنى ماذا؟

سنة كاملة!!! والفضل لأصحاب الفضل !
لم يصدق أحد، ولا أنا، أن هذه النشرة يمكن أن تتم عامًا كاملاً من عمرها تحت أى ظرف، 366 يوماً بالتمام والكمال، لكن هذا هو ما حدث. حين هممت أن أختار موضوع اليوم فيما يسمى "إبداعى الخاص" الذى أتعرف من خلاله على نفسى، أو أنوه للأصدقاء عن بعض محاولاتي، قفزت إلى هذه النشرة التى صدرت لمدة عام كامل ممثلة لما أعرضه فى هذا اليوم بالذات.
وهل كانت نشرة الإنسان والتطور هذه إلا ما يشير إليه هذا العنوان،

أفليس هذا هو بالضبط ما يعيبها؟

وإن كان هو هو ما يميزها.!!!!

من حقى أن أتوقف، لأنظر إلى ما انتهت إليه الأمور، وكيف يمكن أن تستمر أو غير ذلك

قبل هذا التوقف للنظر، لا بد من الاعتراف بالفضل لأصحاب الفضل، وهنا يتجلى الخرج بالنسبة لذكر الأسماء تحديداً، من أذكر؟ ومن أنسى؟ طوعاً، أو سهواً؟

أقر وأعترف انهم كلهم بلا استثناء أصحاب فضل فعلاً،

بل إننى أكاد أشعر أن من لم يعقب كتابة على النشرة، ولا مرة واحدة، قد يكون هو الأقرب والأرحب، وقد يكون هو من تابع أغلب ما كتبت، فهو صاحب فضل كبير كبير، لا أعرف كيف استشعرته حتى اليقين، غالباً أنا أصير نفسى، لم لا؟.

عرفت بعض هؤلاء ممن لا يعقبون ولا بحرف واحد حين كنت ألوح جاداً بين الحين والحين أننى على وشك أن أتوقف، فإذا بهم يصيحون فى، وكأنهم يهددونى، أننى ليس من حقى أفعل.

هناك فريق آخر كان يناقشني شفاهة فيما أكتب (وفيما لا أكتب)، وكانت لمناقشاته كل الأثر فى تعديل مسارى، أو توازن الجرعة، أو التراجع عن خطأ، أو إكمال نقص.

فريق ثالث كان يرسل لي على "الميل" الخاص بي، دون الموقع، ربما ليأخذ راحته في النقد والشجب والتنبيه وقرص الأذن والاعتراض، وكان هذا الفريق من أشجع مَنْ شجعت على أن أمضى قدما،

كل هؤلاء على عيني وعلى رأسي دون ذكر أسماء، فهم بالذات لا يحتاجون لذكر أسمائهم، أعتقد أنهم ينتمون لآرائهم أكثر مما ينتمون لأشخاصهم، ناهيك عن أسمائهم.

اثنان لابد من ذكر أسمائهم تحديداً: **الإبن والصديق د. جمال التركي، والإبن والصديق حافظ عزيز،** الأول على انشغاله وفضله غير المسبوق في شبكة العلوم النفسية العربية، فرخ، وشجّع، وسجّ، ونشّر، وتابّع، وأمل!، ولعب (بالتونسية وبالفضحي)، وتألّم لقلّة المشاركة، وثابّر، كل ذلك وسط هذا الانشغال الهائل الذي شغله ويشغله وهو يواصل ليل نهار محاولة تربيطنا بعضنا ببعض (نحن النفسيين العرب!!)، ورغم كل الصعوبات والخصومات والخلافات والاختلافات، ياه يا جمال!! أنت تقوم عني بكل ما أتمناه ورغم أنني - منهجياً - أكاد أكون الضد المكمل لكل ما تقوم به شبكتنا التي هي أنت،

ماذا أقول لك؟

ربنا يخليك، وينفع بك، ويجزيك عنا خيرا، يا شيخ.

بالرغم من إشفاقك علىّ يا جمال في سني هذه، وبالرغم من نصيحتك الباكّة بأن أتوقف قبل أوبعد أن أنهي السنة، هأنذا أكمل ما بدأت لمدة عام كامل بفضل تشجيعك، وبرغم تحفظك، ولست أدري - طبعاً - إن كانت أمامي سنة أخرى أم لا، لكنني لم أكن أدري يوم بدأت أيضاً، إن كنت سأتم هذه السنة أم لا،

أعرف بوضوح أن الله سبحانه هو الذي سيقدر متى أتوقف مؤقتاً أو نهائياً، فهل تسمح لي أن ندع هذه المسألة له؟ وبالتالي، فهأنذا أكمل وأنا أقرب إلى أهداف شبكتكم، شبكتنا، لأنني لاحظت مؤخراً أن النشرة أصبحت أقرب إلى النفسيين أكثر مما كنت أحسب، وبينى وبينك، مما كنت أرغب، ومع ذلك فأنا أجد نفسي أبعد أكثر مما كنت أقدر،

وهل أمامنا يا جمال إلا المحاولة والاستمرار والتصحيح؟

شكراً مجد

الإبن الصديق الثاني الذي لا مفر من ذكر اسمه هو **حافظ عزيز،** ليس طبيباً، ولا أريد أن اصنّفه فهو - في هذا المجال على الأقل - مجرد إبن صديق إنسان عادى جداً، ليس له أدنى علاقة بتخصص نفسي معين، وإن كانت له أوثّق علاقة بالنفس البشرية كما خلقها الله

أشرف صفة تصورت أنني أستطيع أن أصفّه بها هي أنه إنسان عادى، بأرقى معنى لما هو "عادى"، مع أنني اعتدت في كتاباتي كلما اقتربت من كلمة "عادى" أو "عادية"، قفزت إلى قلبي

صفات الروتين، والتوقف، والنمطية، واللا إبداع، ثم أنتبه فجأة- الآن وفي أوقات أخرى - أنتي بذلك أبعد كل البعد عما هو "عادي" وهو يعكس كل ما هو ليس كذلك،

الله لم يخلقنا بهذه الصفات التي نلحقها بالعادي، الله خلقنا لنكون كما خلقنا:

نقرأ فنفهم،

نمشي في الأرض فنكتشف

ننظر فنرى ما ننظر إليه،

يصعب علينا الفهم فنحاول ونؤجل حتى نفهم أو لا نفهم، ولا تنهد الدنيا،

نعيش فننتج،

نخطئ فنتعلم،

يمر علينا الوقت فلا يمر، لأننا في حالة نمو دائم، والوقت يتجدد بالنمو فلا ينقضي، إلخ

ماذا في كل ما ذكرت الآن غير عادي، هذا الإبن الصديق ظل يقرأ كل اليومية - تقريباً - قبل صدورها، وهو بهذه الصفات العادية، لم أطلب منه صراحة تكليفاً بذلك، لكن ظروف صداقتنا وعمله أتاح له هذه الفرصة الاختيارية حتى أحبها، أو اعتادها،

كنت أتعجب حين يطلبني في الهاتف ليعدل - فاهما ناقداً - من وضع كلمة "قد" مثلاً، أو يصحح ضمير غائب، ولم تكن قراءته لتصحيح أخطاء مطبعية، بل لما هو أكثر من ذلك مما لا أجد له اسماً أو وصفاً، لعل أقرب وصف لما كان يقوم به هو: "الحرص على أن تصل الرسالة التي يتصور أنني أريد توصيلها، إلى أصحابها متقنة أبلغ الإتقان لتحمل ما أقصده"، هذا ما وصلني خلال عام، أو شيء من هذا القبيل. كان حين يبالغ في هذا الحرص، يتمادى حتى يقترح تعديل كلمة أو جملة حتى في تقاسيمي على أحلام نجيب محفوظ، وهنا أثور عليه ثورة غاضبة أكتمها عادة، لكنها ثورة غاضبة فعلاً، وبعد أن ينصرف، أرجع مرغماً لملاحظته، وقد أخذ بها، وعادة لا أخذ بها، لكنني كنت ألاحظ أن بعض ملاحظاته أكتشفها بنفسى في المراجعة الأخيرة، وأقوم بتعديلها، ويكون هو قد استلم المسودة قبل الأخيرة، وقام بالتأشير على ما يحتاج إلى تعديل الذي أكون قد عدلته في المسودة الأخيرة دون الرجوع إلى ملاحظته، وهكذا نظمنا أننا نكاد نتفق على شكل ومضمون ما يراد توصيله لأصحابه، أي والله.

طيب بالله عليك يا حافظ كيف أشكرك إلا أن أحرص أكثر على الاستمرار، وعلى الإتقان؟

أصدقاء بريد الجمعة لم يكونوا كلهم مختارين في المشاركة في هذا البريد، ذلك أنه حين افتتحت الحوار في الشهور الأولى، جريت أن يكون التعليق على النشرة جزءاً من التدريب الذي أقدمه لزملائي وزميلاتي الأصغر، لكن بمرور الوقت حدث الانتقاء التلقائي، وأصبح أغلب المشاركين متطوعين ناقدين مضيفين بما يتييسر لكل منهم ومنهن.

تميز بريد الجمعة، برغم ما فيه من ظلم على الصديق الزائر حين تختزل كلامه، أو نقتطف منه، أو نحذف أغلبه أو نقلبه حواراً وهو ليس بحوار، برغم كل ذلك تميز بحيوية مفرطة، وإسهامات مضيئة، واقتراحات بناءة، ومناقشات مضيئة، واختلافات، وإبداع، ونقد، واحتجاجات، وتساؤل، وموافقة، واعتراض، وكنت أعجب من تعقيب بعض من أعرف أنهم يميزون هذا الباب، برغم كل ما به من ظلم، وصناعة كما ذكرنا، يفضّلونه عن سائر الأبواب بشكل واضح.

طبعاً كان بهذا الباب الكثير الكثير مما احتاج وقفة ومراجعة وتنبيه، مع التقدير الكامل لحسن النية، والرغبة في المشاركة، طول الوقت. كان من أصعب الصعب على نيرة التصفيق أو المديح الذي كنت أتعمد أن أحذف أغلبه، لا ادعاء للتواضع، ولكن لأنه كان أكثر من اللازم من ناحية، وكنت لا أجد فيه ما يفيدني من ناحية أخرى، مع أنني - مثل أي واحد طبعاً - في حاجة إليه، لكنني لاحظت فعلاً أن هذه الجرعة من التقدير والانبهار تكاد تتناسب تناسباً عكسياً مع جرعة التعلم والتغير (آسف أنني اضطررت للتعميم، لكن ماذا أفعل؟)، حين كان يصلني من أحد أبنائي وبناتي تحت بند "وصلني جديداً" (وهو أحد بنود التدريب من خلال النشرة) كنت أفرح أكثر بكثير مما لو وصلني شيء مثل "ما هذا كله؟ إنك عظيم جئت بالتأثية!!!"،

تعلمت في العلاج الجمعي أن أكشف هذه الآلية (الميكانيزم) التي تعوق النمو من خلال هذا العلاج، والتي أسماها "برلز" صاحب مدرسة العلاج الجمعي الجشتالتي "**ياها يا سيدي الأستاذ، ما أروعك**" وبالنص: Gee Professor, you are wonderful، بمجرد أن يصفق مثل هذا المريض للمعالج هكذا، تتأكد جرعة الاعتمادية والترييح التي يمكن أن تعوقه هكذا: ما دام هذا القائد للمجموعة بكل هذا الخدق وهذه المهارة، فما علينا إلا أن نتبعه، هذا ميكانيزم، برغم أنه احتياج إنساني عند الطرفين، إلا أنه إذا تكرر وساد، أو أصبح غاية المراد، فإنه يوقف نمو الاثنين معاً: البروفيسور الرائع، والمصفق التابع،

حين كنت أحاول أن أخفف مثل هذه الجرعة، كنت أبدو - كما ذكرت حالاً - كمن يدعى التواضع، فيزيد الطين بله (وكمان متواضع!! يا صلاة النبي!)، أنا لا أبرئ نفسي، لكنني أقر وأعترف أنني كلما وصلني مثل ذلك أتذكر بيتي الشعر اللذين صاغهما عبد الرحمن الشقراوي في "الفتى مهران"، ولا أذكرهما بحروفهما إلا على قدر كفاءة ذاكرة بدأت تلاعبني، يقول

الشرقاوى (وكان أيامها يكاد يخاطب عبد الناصر)، "فاعترض واحد من محبك، لهو خير ألف مرة، من رضا كاظم غيظ يكرهك"، (أو ببغضك، لا أذكر. لم تكن الكراهية مطروحة في البريد للأسف بقدر ما تعرت بإيجابياتها وسلبياتها في ملف الحب والكره الذى لم يكتمل، وأيضاً في بعض ألعاب "سر اللعبة".

كنت أنوى، في هذا اليوم هو الاثنين المسمى، يوم إبداعى الخاص، والذى قد يختفى فجأة أو بالتدريج في العام القادم، (كما سنرى) كنت أنوى أن أتناول ما جاء في هذه الأيام الـ 366 تقسيماً وتبويباً ومراجعة، لكن السكرتارية عندي لم تتم التصنيف، وقدراتي المعلوماتية والإحصائية لم تسعفى، فتصورت التالي:

1. إن الأفضل أن يقوم بهذا العمل غيرى ممن يحظى هذه المسألة بأساليبه الإلكترونية الأحدث من حيث الشكل، وبجسه النقدى الأقدر من حيث الموضوع (لا أريد أن أذكر الإبن جمال التركى خشية أن يتصور أننى أرغب أن يقوم بهذه المهمة، وعنده ما عنده من مشغوليات، لكننى أتصور أن عنده برنامجاً ما قد يعيننا في ذلك)

2. أن اركز على تصوراتى للعام القادم طالبا المشورة فعلا بعد هذه المحاولات المتعددة المتشعبة التى كادت تصل إلى غرض "طيران الأفكار" Flight of Ideas

3. أن أعيد - لأورط نفسى- بأن أقدم قبل نهاية هذا الشهر ما يشبه الفهرس أو المحتويات لما صدر من يوميات، مع الإشارة لما توقف منها، وللعود التى لم تف بها، وللملفات التى ما كادت تفتح حتى أغلقت... إلخ إلخ

وفيما يلى بعض تصوراتى للعام الثانى لهذه النشرة إن كان في العمر بقية، بعد كل هذا التجريب والاستكشاف

1) أن ترجع كفة كل من:

- العلوم النفسية، وبالذات الطب النفسى والعلاج النفسى
- ما يفيد في التدريب وشحن المهارات الإكلينيكية، وبالذات أن يزيد عرض ما هو "حالات وأحوال" مهما بلغ طولها، ويستمر باب "الإشراف عن بعد" مهما بلغ قصره، ويتواصل باب "استشارات مهنية" مهما صعب تناوله.

2) أن تزاجع جرعة كل من:

- التنظير البحث، والفروض غير المدعومة بالشواهد العملية (على أن تصدر في كتب لاحقة متكاملة، مدعومة - أو غير مدعومة- بما نشر من حالات عملية، وعينات حية - مثل ملف الحب والكراهية دون ألعاب)

- ألعاب سر اللعبة إلا إذا ارتبطت بمقارنات هادفة بألعاب المرضى في العلاج الجمعى أو غيره

• التعليق على آراء وأفكار ليس لها علاقة مباشرة بنوعية ما سوف يغلب من جرعة ذات صبغة طب نفسية أو علاج نفسي (مثل باب: مقتطف وموقف)

(3) أن يستمر باب "تعتة" مشاركة في الإسهام في تحريك الوعي العام، خاصة بالنسبة للقضايا العامة

(4) أن يزيد الاهتمام بالأعمال النقدية ، التي لم تنشر، والجاري العمل بها، حتى لو نشرت مسلسة، وذلك مع ، أو بعد الانتهاء من أحلام نجيب محفوظ (علما بأننى أنوى العودة إلى استكمال ما أسيته "في شرف صحبة نجيب محفوظ"، وما لم أنشره في نقده، وبالذات: حديث الصباح والمساء، وابن فطومة، مقارنة بساحر الصحراء، كويهلو، وحضرة المحترم،... إلخ)

(5) أن يحذف باب "الإبداع الشخصي"، وعلى من يريد أن يتابع بعض ذلك أن يرجع إلى الموقع بعد تحسينه، (على فكرة: هذه الزاوية عن الإبداع الشخصي قد أقحمتها مؤخرا، لترجيح يوما في الأسبوع من ملاحقتى ذاتى لأكتب جديدا كل يوم!!، وقد آن الأوان أن أحمل مسئوليتى أكثر).

وبعد ،

ما هذا؟

يبدو أنه قد طغى تخصصى على ما هو أنا؟

انقلبت المسألة إلى تدريب وعرض حالات، وإشراف عن بعد، وتحسين ممارسة،

لماذا وكيف؟ مع أن الأطباء النفسيين، والنفسيين عموما، هم أبعد ما يكونون عن المنهج الذى أتناول به التخصص، وما يصلنى من الأصدقاء غير المختصين هو أكثر ثراء وقبولا مما يصلنى من الزملاء النفسيين (علما بأنه لم يصلنى شيء في واقع الحال إلا من بعض أبنائى وبنائى من زملائى الأصغر، الذين أشك في مدى حرية اختيارهم، وزملائى الأبعد الذين شغلهم انشغالهم)

ما العمل؟

لست أدري.

أطلب المشورة، ولا أعد أن أعمل بها،

وذلك لسبب بسيط،

هو أننى أحترم حدسى المتصل بالتاريخ من جهة، وبمن هو ليس قريبا منى من جهة أخرى

حالة مستعصية، أنا، أليس كذلك ؟

ليكن، لكنها أصدرت هذه النشرة 366 يوما دون انقطاع

دعونا نرى ماذا سوف يكون في الـ 365 يوما القادمة

إن كان ربنا الكريم المتعالى سوف يسمح بها
وكل عام وأنتم بخير،
ونفع،
وصير،
وألّم خلاق
فإبداع مغامر
ورؤى محتملة
وغير محتملة
واجتهاد مثابر
رمضان كريم
والله - فعلا - أكرم
لهذا،
وبهذا :
نستمر.

أرسل تعليقا

TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com
http://www.rakhawy.org/a_site/everyday/sendcomment/index.html
The Man & Evolution FORUM Web Site
<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/>
All Interventions: The Man & Evolution FORUM Messages
<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/messages/1>
Pr. Yahia Rakhawy Web Site
http://www.rakhawy.org/a_site